مقدِّمة موجزة عن نشأة علم المصطلح مع تعريف بعض المصطلحات الحديثية (١)

بحث في علم مصطلح الحديث

أ/خالد مصطفى عبد القادر
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم – ماليزيا

خلاصة—هذا البحث يبحث علم مصطلح الحديث نشأته والمراحل التي مر بها حيث وُلِدَ صغيرًا، ثم مر بمراحل النمو المختلفة حتى وصل إلى مرحلة الكمال والازدهار والتعرف على بعض المصطلحات الحديثية.

الكلمات المفتاحية: كتب السنة ، الجرح والتعديل ، عصر الرواية، استقرار مصطلح الحديث

I. المقدمة

نشأ علم مصطلح الحديث كغيره من العلوم الأخرى حيث وُلِدَ صغيرًا، ثم مر بمراحل النمو المختلفة حتى وصل إلى مرحلة الكمال والازدهار، فلقد كانت قواعد هذا العلم ومباحثه موزعة ومنتشرة في كتب السنة وغيرها من كتب التاريخ الخاصة بالرجال، فكان العلماء -رحمهم الله تعالى- يتعرضون لمباحث هذا العلم في كتبهم بحسب المناسبة، وما تدعو إليه الحاجة.

II. موضوع المقالة

بدأت بذور هذا العلم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث تكلم النبي - صلى الله عليه وسلم- في الرجال، وعَدَّلَ وجرَّح، وسن للأئمة القول في الرجال، واعتبر ذلك من النصيحة لله ولرسوله وللمسلمين، واقتفى الأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم آثاره - صلى الله عليه وسلم- فعدَّلوا وجرحوا، فتكلموا في رواة الحديث جرحًا وتعديلًا، والسنة لم تُدَّون تدوينًا رسميًا إلا على رأس المائة الأولى بأمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه- إلا أن بعض الصحابة قد تكلموا في الرواة، ونقدوا مروياتهم.

ومن هؤلاء الذين تكلموا في الرواة : عبد الله بن عباس، وعبادة بن الصامت، وأنس بن مالك، والسيدة عائشة -رضي الله عنهم جميعًا.

كما تكلم في الرواة من كبار التابعين : عامر بن شرحبيل الشعبي، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين، وغير هؤلاء من الأئمة الكبار -رضي الله عنهم جميعًا.

وكلام هؤلاء الأئمة في الرجال في عصر الصحابة والتابعين، كان من قبل حفظهم، فلقد مرت المائة الأولى، وكل رواة السنة المطهرة إما صحابي عَدْل في دينه، أو تابعي كبير ثقة، يتحرَّى الصدق ويتشدد في الرواة، إلا أن بعض الرواة وقع منهم أوهام وأخطاء ، فنبه الأئمة على هذه الأخطاء، وبينوها غاية البيان.

ثانيا: في أوائل المائة الثانية في عصر أواسط التابعين ، وُجِدَ من الرواة من يروي المرسل والمنقطع، ومن كثر خطؤه، وازداد ذلك في عصر صغار التابعين بعد الخمسين والمائة، وظهرت الفرق السياسية، وانتشرت المحن والعصبية، وزاحمت الثقافات الأعجمية المعارف الشرعية، وظهر مَن يتعمَّد الكذب؛ ترويجًا لبدعته، وانتصارًا لمذهبه ونِحلته، فاضطر العلماء الجهابذة -رضي الله عنهم- من علماء الجرح والتعديل إلى اتساع النظر والاجتهاد في التفتيش عن الرواة، ونقد الأسانيد.

فتكلم شعبة بن الحجاج، كما تكلم الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وتكلم أيضًا هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، ثم عبد الله بن المبارك المروزي، وسفيان بن عيينة، ثم يحيى بن سعيد القطان. وتكلم تلامذة هؤلاء العلماء كما تكلم شيوخهم في الرجال جرحًا وتعديلًا.

ولقد تعرض الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله تعالى- ببعض مباحث هذا العلم في كتابه (الرسالة) وفي ثنايا كتابه (الأم) وكتابه (اختلاف الحديث) الذي طبع مع (الأم) كما طبع مستقلًا.

ثالثا: جاء الإمام أحمد بن محمد بن حنبل - رحمه الله تعالى- وتكلم عن مباحث هذا العلم، وقام تلامذته بتسجيل ما دار بينهم وبينه من أسئلة ومحاورات في مباحث هذا العلم .، كما تكلم كثير من طبقة الإمام أحمد كيحيى بن معين، وغير هؤلاء كثير.

كما تكلم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله تعالى- عن مباحث هذا العلم في كتب التاريخ التي ألفها، فتكلم في كتابه (التاريخ الكبير) و(التاريخ الأوسط) و(التاريخ الصغير) عن مباحث هذا العلم أيضًا.

كما تعرَّض الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري - رحمه الله تعالى- لمباحث هذا العلم في مقدمة كتابه (الجامع الصحيح) وغيره من كتبه ومؤلفاته . كما تكلم في ال رجال جرحًا وتعديلًا، وتحدث عن المتون الإمام الجليل محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي، وقام ابنه بتسجيل ما قال أبوه في الرجال في كتابه (الجرح والتعديل). كما تعرض الإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي صاحب (السنن) لمباحث هذا العلم في كتابه (علل الحديث) الذي ألحقه بآخر كتابه المعروف بـ(سنن الترمذي).

كما تكلم في الرجال جرحًا وتعديلًا، وفي نقد المتون الإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي صاحب (السنن).

وهكذا مَرَّ القرن الثالث الهجري، وهو آخر عصر الرواية، ومباحث علوم الحديث درايةً منتشرةً في كتب الحديث، وكتب التاريخ الخاصة بالتراجم، مثل كتب التاريخ للإمام البخاري. فلم تُجمع في كتابٍ واحدٍ مستقل، بل ظلت مختلطةً بعلم الحديث روايةً، غيرَ أن هذه المباحث نشأت مع علم الحديث روايةً ودُونت معه . ولما دونت السنة المطهرة بأمر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه- على رأس المائة الثانية، جُمعت السنة في الحجاز، والشام، ومصر، والعراق، واليمن، وغير ذلك، واختلف العلماء في كيفية جمعها، وصورة تأليفها، وانتقائها، وترتيبها، وكان لكل طبقة ترتيب خاص، ووجد في بعض هذه المصنفات حكمٌ على بعض الأحاديث، وقولٌ في علل المعلول، ونقدٌ لبعض الرواة، وجمع في تلك المصنفات أقوال العلماء في الإسناد، كما جمع ما بها من اصطلاحات المتقدمين فيما يتعلق بالأسانيد والمتون، وجمع معها ما دار بين العلماء في مجالسهم ومناظراتهم.

وابتدأ ذلك التدوين في أبواب وبعض أنواع منه أثناء المائة الثالثة، فلما كانت المائة الرابعة -وفيها نضجت العلوم، واستقر الاصطلاح- قام القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، بتأليف كتابه (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي). فجمع في ذلك الكتاب كثيرًا من أنواع علم الحديث درايةً ، وبذلك يكون أول مَن أفرد هذا العلم بالتصنيف والجمع، هو الرامهرمزي، حيث جمع أبحاثَه في مصنف خاص.

ثم جاء بعد الرامهرمزي الحاكم أبو عبد الله النيسابوري صاحب (المستدرك)، فألَّفَ كتابه (معرفة علوم الحديث) وذكر فيه خمسين نوعًا، ولم يستوعب ولم يُهذب كما قال ابن حجر.

ثم جاء بعدهم الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي ، فصنف في قوانين الرواية كتابًا أسماه (الكفاية في قوانين الرواية). وصنف في آداب الرواية كتابه (الجامع لآداب الشيخ

والسامع). وقل فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتابًا م فردًا، فكان -كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة- كَلَّ مَن أنصفَ عَلِمَ أن المحدثين بعد الخطيب عِيالٌ على كُتُبِه.

ا ثم جاء القاضي عِياض بن موسى اليحصبي ، فجمع في ذلك كتابه (الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع). ثم جاء أبو حفص عمر بن عبد المجيد، فجمع في ذلك جز ءًا سماه (ما لا يسع المحدث جهله).

وبعد كل هؤلاء وغيرهم، جاء أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، فصنف كتابه (علوم الحديث) المشتهر بـ(مقدمة ابن الصلاح) وجمع فيه ما تفرق في غيره من كتب الخطيب وغيره، وذكر فيه خمسةً وستينَ نوعًا، ولم يحصل ترتيبه ع لى الوضع المناسب، ولكثرة جمعه وتحريره، انتشر واشتهر، فعكَفَ عليه العلماء بالدرس والاختصار، والشرح والنظم، والمعارضة والانتصار، وأصبح العمدةَ لِمَنْ جاء بعدَه.

جهود العلماء حول (مقدمة ابن الصلاح):

عَكَفَ العلماء على (مقدمة ابن الصلاح) بين شارح وناظم ومختصر، فشرح (مقدمة ابن الصلاح) الحافظ العراقي، في كتابه (التقييد والإيضاح لِمَا أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح) وشرحها الحافظ أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني، في كتابه (الإفصاح عن نُكت ابن الصلاح). واختصرها الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي في كتابه (الإرشاد) ثم اختصر (الإرشاد) في كتابه (التقريب).

وقام بشرح (التقريب) للإمام النووي الإمامُ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، في كتابه (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي). كما اختصر (مقدمة ابن الصلاح) الحافظ إسماعيل بن كثير الشافعي في كتابه (اختصار علوم الحديث) والمطبوع بعنوان (الباعث الحثيث). وقام بشرح (الباعث الحثيث) لابن كثير العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر في كتابه (الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث). كما اختصره أيضًا الحافظ البلقيني المتوفى في سنة خمس وثمانمائة من الهجرة في كتابه (محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح).

ونظم كتاب ابن الصلاح الحافظ العراقي عبد الرحمن بن الحسين، في ألفيته (نظم الدرر في علم الأثر). وزاد في ألفيته على كتاب ابن الصلاح وشرحها بشرحين مطول ومختصر، والمختصر طبع باسم (فتح المغيث بشرح ألفية الحديث) للحافظ العراقي، كما شرح (ألفية العراقي) الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتابه (فتح المغيث في شرح ألفية الحديث) وهو أوفى شرحٍ لها، كما شرحها الشيخ زكريا الأنصاري في كتابه (فتح الباقي بشرح ألفية العراقي).

ومن أنفع الكتب المختصرة في هذا العلم (نخبة الفِكَرِ في مصطلح أهل الأثر) للحافظ ابن حجر العسقلاني، وقد شرحها ابن حجر في كتابه (نزهة النظر) كما شرح (نخبة الفكر) لابن حجر الشيخ عبد الرءوف المناوي المتوفى في سنة إحدى وثلاثين وألف من الهجرة في كتابه (اليواقيت والدرر في شرح نخبة الأثر).

ومن الكتب الجامعة المحررة كتاب (تنقيح الأنظار) لمحمد بن إبراهيم المعروف بابن الوزير، المتوفى في سنة أربعين وثمانمائة من الهجرة، وقام بشرح هذا الكتاب محمد بن إسماعيل.

المراجع والمصادر

١. الحافظ السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن فتح المغيث شرح ألفية الحديث ـــ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٣هـ
٢. أبو عمرو بن الصلاح مقدمة ابن الصلاح طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٧ م
٣. الإمام الزركشي بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر النكت على ابن الصلاح الناشر مكتبة أضواء السلف - الرياض - ١٩٩٨م ، تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج
٤. أبو سعيد العلائي صلاح الدين خليل بن كيكلدي جامع التحصيل في أحكام المراسيل: المتوفى ٧٦١ هـ تحقيق حمدي السلفي طـ دار العربية للطباعة بغداد ١٣٩٨ هـ
٥. العراقي زين الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين المتوفى ٨٠٦ هـ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح : تحقيق عبد الرحمن مح مد عثمان طـ الأولى ١٣٨٩ هـ مكتبة السلفية المدينة المنورة
٦. السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر المتوفى ٩١١هـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : طـ دار الكتاب العربي تحقيق أحمد عمر هاشم - ١٤٠٩هـ
٧. الخطيب البغدادي أحمد بن علي الكفاية في علم الرواية : دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م ، تحقيق أحمد عمر هاشم
٨. صبحي الصالح علوم الحديث ومصطلحه : طـ الرابعة دار العلم للملايين ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م
٩. الدكتور – الخشوعي الخشوعي الحديث الضعيف محمد- بدون طبع
١٠. الدكتور- الخشوعي الخشوعي محمد- الإيضاح في علوم الا صطلاح - بدون طبع .